

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
 الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ

المعنى الإجمالي (177):

في الآيات الثلاث السابقة لهذه الآية ندد الله تبارك وتعالى بأخبار أهل الكتاب وذكر ما توعدهم

به من غضبه وأليم عقابه يوم القيامة كما تضمن ذلك تخويف علماء الإسلام من أن يكتموا

العلم على الناس طلباً لحظوظ الدنيا الفانية، وفي هذه الآية رد الله تعالى على أهل الكتاب أيضاً

تبجحهم بالقبلة وادعاءهم الإيمان والكمال فيه لمجرد أنهم يصلون إلى قبلتهم بين المقدس بالمغرب أو طلوع الشمس بالمشرق، إذ الأولى قبلة اليهود، والثانية قبلة النصارى، فقال تعالى: **{لَيْسَ الْبِرُّ كُلُّ الْبِرِّ {أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} ، وفي هذا تنبيه عظيم للمسلم الذي يقصر إسلامه على الصلاة ولا يبالي بعدها ما ترك من واجبات وما ارتكب من منهيات، بين تعالى لهم البار الحق في دعوى الإيمان والإسلام والإحسان فقال: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ} أي: ذا البر أو البار حق هو {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} وذكر أركان الإيمان إلا السادس منها "القضاء والقدر"، {الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ} وهما من أعظم أركان الإسلام، وأنفق المال في سبيل الله مع حبه له وضنه به ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فهو ينفق ماله على من لا يرجو منه جزاء ولا مدحاً ولا ثناء؛ كالمساكين وأبناء السبيل والسائلين من ذوي الخصاصة والمسغبة، وفي تحرير الأرقاء وفكاك الأسر وأقام الصلاة أدامها وعلى الوجه الأكمل في أدائها وأتى الزكاة المستحقين لها، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أعظم قواعد الإسلام، وذكر من صفاتهم الوفاء بالعهود والصبر في أصعب الظروف وأشد الأحوال، فقال تعالى: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ} وهذا هو مبدأ الإحسان وهو مراقبة الله تعالى والنظر إليه وهو يزاول عبادته، ومن هنا قرر تعالى أن هؤلاء هم الصادقون في دعوى الإيمان والإسلام، وهم المتقون بحق غضب الله وأليم عذابه، جعلنا الله منهم، فقال تعالى مشيراً لهم بلام البعد وكاف الخطاب ليعد مكانتهم وارتفاع درجاتهم {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.**

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألقي سمعك واحضر

حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فانه خطاب منه لك على لسان

رسوله. قَالَ تَعَالَى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}.

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول

الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه

وأدله على المراد:

فقوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى} إشارة إلى ما تقدم من أول السورة الى ههنا وهذا هو

المؤثر.

وقوله {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي

يعقل عن الله، كما قال تعالى {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} أي

حي القلب.

78 - وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدْخُلُ الْخَلَاءَ، فَأَحْمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ نَحْوِي إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ، وَغَتَرَةً، فَيَسْتَنْجِي بِالمَاءِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

ما يؤخذ من الحديث:

- 1- أنس بن مالك الأنصاري -رضي الله عنه- تفرغ بخدمة النبي -صلى الله عليه وسلم- غير سنين.
- 2- يُؤْخَذُ مِنَ الْخَلَاءِ أَنَّهُ كَانَ -صلى الله عليه وسلم- يَسْتِيرُ بِحِثُّ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ؛ فَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ أَنْ يَسْتِيرَ عَنِ الْعَيُونِ، إِمَّا بِالْبَعْدِ، أَوْ إِغْلَاقِ بَابِ مَكَانِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، أَوْ وَضْعِ مَا يَسِيرُهُ مِنَ النَّاسِ.
- 3- يدل على أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْفَضَاءِ، وَلَيْسَ فِي الْبُيُوتِ؛ فَإِنَّ الْعِبْرَةَ وَالْإِدَاوَةُ الْمَحْمُولَةُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا غَالِبًا إِلَّا فِي الرَّبِّ.
- 4- جَوَازُ الْاِقْتِصَارِ فِي الاسْتِنْجَاءِ عَلَى الْمَاءِ.
- 5- الْأَحْوَالُ ثَلَاثَةٌ فِي الاسْتِنْجَاءِ:
(أ) أَفْضَلُهَا: الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَجَارَةِ وَالْمَاءِ، بِتَقْدِيمِ الْحَجَارَةِ وَنَحْوِهَا، ثُمَّ اتِّبَاعُهَا الْمَاءِ؛ لِيَحْضَلَ كَمَالُ الْإِنْقَاءِ وَالتَّطَهُّرِ.

قال النووي: الذي عليه جماعة السلف والخلف، وأجمع عليه أهل الفتوى من أئمة الإمامية: أن الفضل أن يجمع بين الماء والحجارة، فيستعمل الحجر أولاً لتخف النجاسة، وتقل مبايرتها بيده،

ثمَّ يستعمل الماء، فإنَّ أراد الاقتصارَ على أحدهما، جاز الاقتصار على أيهما شاء، سواءٌ وجد الآخر، أو لم يجده، فإن اقتصر على أحدهما، فالماء أفضل من الحجر.

(ب) يأتي بعده في الفضيلة : **الاقتصارُ على الماء دون الحجارة.**

(ج) **هي الاقتصارُ على الحجارة ونحوها**، وهي مجزئةٌ إلا أنَّ الأولين أفضلُ منها.

6 - استعداد المسلم بظهوره عند قضاء الحاجة؛ لثلا يُحوَّجَّه إلى القيام، والتلوُّث بالنجاسة.

7 - بعض العلماء كره الاقتصارَ في الاستنجاء على الماء، وعلة الكراهة عندهم ملامسته النجاسة؛ ولكنه قولٌ مرجوحٌ، وتعليلُ ذلك غيرُ صحيح؛ لما يأتي:

أولاً: أنه ردٌّ ومعارضةٌ لهذا الحديث الصحيح.

ثانياً: أنه يحصل بالماء الإنقاء التامُّ.

ثالثاً: أن مبايرة النجاسة لازالتها لا محذور فيها؛ فإنَّ هذا ليس استعمالاً لها، وإنما هو تخلُّص منها، نظير ذلك: إزالة المحرم الطيب عنه، بجامع المنع من كلِّ منهما، فإزالته ليست محظوراً في الإحرام وإن بايَّره.

قال شيخ الإسلام: الصحيح **جوازُ** ملامسة النجاسة للحاجة، ولا يكره ذلك في أصحِّ الروايتين عن أحمد، وهو قولُ أكبر الفقهاء؛ إذ إن الاستبراء من البول لا يكون إلا بعد الإصابة به.

8 - تحفُّظه عن أعين الناظرين؛ وذلك بجعله بينهم وبينه حجاباً ولو من خرقة ونحوها؛ فإنَّ النظر إلى العورة بدون ضرورة محرم.

9 - **جوازُ** استخدام الإحرام حيَّ في مثل هذه الأشياء.